

## المحاضرة 1:

### المحور 1: مدخل مفاهيمي وتأسيسي لمفهوم الحجاج الفلسفي

#### تمهيد:

يرتبط مفهوم الحجاج الفلسفي بمفاهيم كثيرة تدخل في سياق تأسيسه وطبيعته ووظيفته وأهميته الحجاجية والفلسفية، فهو يتعلق باللغة، وبالتالي بمفاهيم الخطاب واللسانيات وعلومها المختلفة مثل السيمياء وعلم الدلالة والتداوليات، ومفاهيم التواصل والحوار والجدل والمناقشة، واستراتيجيات المحاجة والبرهان على المواقف و التأثير في الآخرين وتوجيههم أو إقناعهم...ومن هنا يكتسي الحجاج أهميته الفلسفية في الخطاب الفلسفي، ويكون علينا في هذه المحاضرة التساؤل أولا عن ماهيته العامة وطبيعة المفاهيم الأساسية التي يرتبط بها، والتي ستساعدنا على فهم طبيعته وما يتأسس عليه تاريخيا.

مدخل مفاهيمي للحجاج والمفاهيم المرتبطة به:

#### 1- تعريف الحجاج عامة :

**لغة:** من الناحية اللغوية الحجاج مشتق من الفعل حاج وحاجته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حاجته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها، وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة ومن اشتقاقاته نجد المحاجة نقول حاجه محاجة حجاجا أي جدالا، ومن اشتقاقاته أيضا الاحتجاج من احتج رفض بمعنى عارض و استتكر. و أقام الحجة على غيره، و نجد أيضا من اشتقاقاته الحجة أي الدليل و البرهان.

وفي القاموس الاشتقاقي *étymologique* لم تظهر كلمة الحجاج *argumentation* إلا في القرن 19 حيث اشتقاقاتها من الكلمات قد سبقتها مثل فعل *arguer* في اللاتينية التي وردت بمعنى أثبت *prouver* ، ومثل الفعل *argumenter* والأسماء مثل *argument* أي حجة *argumenteur* أي محاجج.

**اصطلاحا :** في المعجم الفلسفي لجميل صليبا يعرف الحجاج بأنه " جملة من الحجج التي يؤتى بها للبرهان على رأي أو إبطاله، أو هو طريقة تقديم الحجج والاستفادة منها" وعند لاند *La Lande* في معجمه الفلسفي والتقني الحجاج هو " سرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها، أو طريقة عرض الحجج وترتيبها."

ومن خلال التعريفين السابقين يبدو أن الحجاج يتطلب أولا موقفا أو نتيجة أو مقصدا أو رأيا ندافع عليه أو نرفضه، وهذا يستلزم ثانيا وجود حجج ملائمة لذلك الموقف، وثالثا أن

تنتظم هذه الحجج في ترتيب منهجي معين يجعلها أكثر فعالية في إثبات الموقف أو رفضه.

وأما من الناحية الفلسفية يذهب مشال ماير M.Mayer في كتابه " ماهو الحجاج؟" إلى ربط الحجاج بالمحادثة الشفوية التي تقوم على السؤال والجواب، فبالنسبة له " الحجاج: حاجج هو تقديم إجابة على سؤال معطى بقصد إلغائه. الوفاق ينتج عن هذا الإلغاء. وإذا استمر عدم التوافق فإن المخاطب يقدر أن السؤال لم يحل، ويعتبر أن الجواب المطروح ليس واحدا." أي أن السؤال يحتمل إجابات أخرى يمكنها إقناعه، ولهذا يرتبط الحجاج أكثر فأكثر بالاختلاف بين الأطراف وبالجدل والنقاش بينها ويتجه إلى جمهور أو متلقي معين.

أما شايم برلمان Ch. Perelman مفكر بلجيكي معاصر من أصحاب " البلاغة الجديدة " فإنه يعرف الحجاج بأنه " دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم " فتقنيات الخطاب هي وسائله الحجاجية التي تحمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه من آراء وأفكار أو الزيادة في حجم هذا الاقتناع. ولهذا يمكن القول أن الحجاج هو وسيلة المتكلم في جعل المتلقي يتقبل آراءه وتوجهاته وانتقاداته.

ويذهب توزي Tozzi إلى أن " الحجاج هو القدرة على دعم أطروحة، والتحقق منها أو الاعتراض عليها بواسطة أفكار مؤسسة بشكل قوي وبراهين فكرية."

## 2- المفاهيم المرتبطة بالحجاج:

**الخطاب: Le discours** الخطاب بحسب ابن منظور مرادف للحديث والكلام، فهو عنده من المخاطبة، وهي " مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، فهما يتخاطبان، والمخاطبة مفعول من الخطاب" هذا يدل أن الخطاب مرتبط بالكلام، وبالتالي بما هو منطوق، فهو كلام مكون من جمل متوالية لها موضوع محدد موجه لفئة معينة أو متلقي، ويؤدي مقصدا معينا.

لكن هذا الفهم للخطاب لم يعد كافيا في الفلسفة المعاصرة، حيث أصبح الخطاب مرتبطا أكثر بالاتصال والتواصل والتفاعل الاجتماعي بين الناس، ومن هنا انتقل مفهوم الخطاب إلى كل وسيلة أو شكل يخدم ذلك التفاعل والاتصال بما في ذلك النصوص المكتوبة وما يمكن أن تقدمه الوسائل السمعية والبصرية كالسينما والتلفزة والإذاعة مثل الإعلانات والأفلام والمسلسلات، وما يمكن أن تقدمه المؤسسات المختلفة من أشكال مختلفة من

الخطاب الديني والسياسي والترابي... ومن هنا يرى ميشال فوكو: أن الخطاب انتقل " من فعل النطق إلى المنطوق نفسه، نحو معناه وشكله وموضوعه وعلاقته بمرجعه" وبالتالي ليس الخطاب فقط كلاما شفويا، بل هو كلام مكتوب أو مسموع أو مرئي له دلالاته الاجتماعية والمعرفية.

**النص: Le texte:** يميز بول ريكور بين النص والخطاب، فإذا كان الخطاب يشمل كل ما هو كلام شفوي وكل ما هو مكتوب، فإن النص مرتبط فقط بما هو مكتوب له بنيته وشكله الخاص مثل المقال، والرواية والقصة والبحث العلمي... فالنص هو كل كلام مكتوب له نسيجه الخاص، أو بتعبير ريكور: " النص هو كل كلام مثبت بالكتابة " **اللسانيات:** العلم الذي يدرس كموضوع له اللغة. يقول مارتيني: " اللسانيات دراسة اللغة على نحو علمي " ( يدرس اللغة بشكل عام خصائصها وبنيته أو تركيبها، ويتضمن علم النحو، علم الصرف، علم الصوتيات la phonétique علم العلامة أو السيمياء la sémiologie، علم الدلالة la sémantique.... )

**علم الدلالة:** يعني بدراسة دلالة الكلمات و العبارات بحسب السياق الذي توجد فيه، فهو يهتم بالدلالات المختلفة للكلمات والعلاقات بين هذه الدلالات ومسألة الحقيقة المرتبطة بها.

**السيمياء:** علم العلامات اللغوية و غير اللغوية كلغة إشارات المرور. جورج مونان يعرف السيميولوجيا هي العلم الذي يدرس كل أنساق العلامات أو الرموز التي بفضلها يتحقق التواصل بين الناس الفرق بين السيمياء و علم الدلالة :

السيمياء أو السيميولوجيا يعنى بالرموز والعلامات بغض النظر عن دلالتها أما علم الدلالة فهو يدرس الدلالة في اللغة البشرية فقط، والسيمياء علم مجرد مادام يهتم بالعلامات والعلاقات بينها، بينما علم الدلالة يرتبط أكثر بالواقع ودلالة الألفاظ في سياقها الخاص. وبالتالي الأشمل هو السيميولوجيا.

التداولية : تترجم أيضا بالبراغماتية، وهي فرع من اللسانيات يعنى بدراسة كيفية استخدام الألفاظ في الأفعال التواصلية، و الدور الذي يلعبه السياق في نقل المعنى (كيف نتداول لفظا معينا حسب السياق الاجتماعي مثلا ) .

**علم البلاغة :** أي الفصاحة علم مطابقة الكلام بالاعتبار المناسب للمقام مع فصاحة الفاظه ، "لهارب" يعرف البلاغة انها التعبير الصحيح عن عاطفة حق ، هي اختبار أسلوب مناسب و الكلام الفصيح للتعبير عن الآراء"

**الاستراتيجية الحجاجية:** هي وضع خطة عامة منهجية و منطقية تتضح من خلالها الوسائل و المراحل و الأهداف المراد تحقيقها و تعرف أيضا بأنها فن توزيع مختلف الوسائل الحجاجية و استخدامها لتحقيق الإقناع عبر مراحل متدرجة زمنيا و منطقيا . يعرف ( فوكو) الاستراتيجية بمايلي:

أولا للتدليل على الوسائل المستخدمة للوصول إلى غاية معينة.

ثانيا للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين، ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو، باختصار الطريقة التي تحاول بها التأثير على الاستسلام. أما في اللسانيات التداولية تعرف الاستراتيجية بوصفها محصلة لسلسلة من عمليات الاختيار واتخاذ القرار التي تعلم بواسطتها خطوات الحل ووسائله لتنفيذ أهداف اتصالية.

أنواعها : الباحثون يتكلمون عن ثلاثة أنواع من الاستراتيجية هي :

استراتيجية الاثبات :و تقوم على عرض موقف معين و البرهنة عليه بحجج عقلانية و بلاغية و لغوية .

استراتيجية النفي : و تقوم على دحض موقف معين من خلال أدلة و براهين ملائمة .

استراتيجية السجال : هي الهجوم على خطاب الخصم قصد إضعافه، ويكون الاستدلال

فيها بالخلف بإظهار كذب الموقف المضاد و بيان سخافته أو يكون عن طريق

استراتيجية الاحراج بوضع الخصم ضمن مفارقة لا يخرج عنها أو يكون عن طريق

السخرية بموقف معين كما هو الحال في الحجاج السقراطي المبني على التهكم.

الاييتوس الباتوس واللوغوس: مصطلحات يونانية أول من أشار إليها هو أرسطو في كتابه

" الخطابة" لكل منها دلالاته المختلفة عنده ، لكن ترتبط كلها بمفهوم الخطاب، حيث يصدر

الخطاب عن متكلم أو كاتب هو الايتوس، فهو الانسان المخاطب وما يحمله من مكانة

وثقافة ومعرفة وسلطة، ويتجه الخطاب إلى متلقي هو الجمهور أو شخص ما وهو

الباتوس، فالباتوس هو كل من يتلقى الخطاب ومكانته وموقعه الاجتماعي والثقافي، أما

الرسالة التي يتضمنها الخطاب هي اللوغوس، فاللوغوس هو موضوع الخطاب أو رسالته.

**استنتاج:** يتضح مما سبق أن مفهوم الحجاج مرتبط بكثير من المفاهيم الخطابية واللسانية والمنطقية، فهو ضروري لأي خطاب شفوي أو مكتوب، ولا يستقيم الخطاب إلا به، فهو وسيلته في الإقناع والتأثير في الغير هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الخطاب هو حامل الحجاج بحيث لا يظهر الحجاج إلا في خطاب، ويتطلب الحجاج استراتيجية أو خطة منهجية تحدد قصد المتكلم في الدفاع عن موقف معين أو رفض آخر، وهو يتأثر باللسانيات بحيث أن كل شكل منها يعطيه طابعا معينا، وهكذا فعلم السيمياء يحصر الحجاج داخل بنية اللغة ويظهر امكاناتها الحجاجية، وعلم الدلالة يظهر أهمية ارتباط اللغة العادية بالواقع و غنى دلالاته، ومن ثم يربط الحجاج أيضا بالواقع، وأما التداوليات فهي تجعل من الكلام أفعالا، وبالتالي تربط الحجاج بالسياق العملي لحياة الناس مما ساهم في إثراء أساليب الحجاج.

## المحاضرة 2:

### 2- مدخل تأسيسي للحجاج الفلسفي:

تمهيد: بعد تعرفنا على مفهوم الحجاج عامة وعلاقته بالمفاهيم المرتبطة به، نأتي إلى الحجاج الفلسفي بصفة خاصة، ونبحث عما يؤسسه ماهويا وتاريخيا و نوعيا، وبالتالي فالإشكالية المحورية هنا: على ماذا يتأسس الحجاج الفلسفي كحجاج نوعي ؟

#### تعريف الحجاج الفلسفي:

إن الطابع الفلسفي للحجاج الفلسفي يجعله مرتبطا باستراتيجية معينة، قد تكون نظرية فلسفية أو خطة منهجية في الدفاع عن موقف أو رفض آخر، ويتميز بطابعه العقلي والمنطقي، وهو يتجه إلى جمهور عالمي، فما يحكم الخطاب الفلسفي هو العقل الكوني، وهذا يعني " " أن الحجاج الفلسفي يكون عقليا لا عاطفيا، وذلك عبر توجهه نحو جمهور عالمي، لهذا يجب أخذ اعتراضات الآخرين على وجهة نظرنا وحججنا كمثيرات للتفكير. " على هذا الأساس يمكن تعريفه بأنه قدرة على الإقناع العقلي الذي يتشكل في متواليات من الأقوال و الحجج والبراهين التي تخدم إستراتيجية معينة في الدفاع عن موقف أو قضية ما أو رفضها. وقريبا من هذا المعنى يذهب الأستاذ طه عبد الرحمان إلى أن الحجاج هو: " كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه ودعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها. " مفهوم الحجاج يتضمن مقولات الادعاء والاعتراض، وبالتالي الحاجة إلى الفهم والتأويل لتقريب المعنى وتحقيق الإقناع.

وهو عند أصحاب الحجاج الخطابى نوع من أنواع الحجاج القائم على فن الإقناع العقلي وتوضيح المنطق الداخلى للخطاب لتأكيد مدى انسجامه، حيث أن ما يجعل الخطاب قويا أمام الخصوم هو عدم تناقض وحداته. حيث يرى أوليفييه ريبول (Olivier Reboul) أن الخطاب الفلسفي هو "مجموع متنسق من الجمل متماسك، يملك وحدة معنى، ويتحدث عن موضوع ما". أما روت أموسي التي تنظر إلى الحجاج نظرة تواصلية وتوحد بين البلاغة والحجاج، فبالنسبة لها هذان "الكلمتان تشيران إلى جملة الوسائل الفعلية الموجهة لفعل جذب السامع لأطروحة بتأسيس توافق حول المعقول". وبهذا تؤكد أن المقصد الحجاجي في البلاغة والحجاج واحد وهو إقناع السامع بفحوى أطروحة ما.

### تاريخ الحجاج الفلسفي:

بما أن الحجاج مرتبط بالخطاب الشفوي والمكتوب، فهذا يعني أنه فن قديم قدم الخطاب، غير أن هناك فرق بين وجود الحجاج في الخطاب تاريخيا، وبين الوعي بأهميته في الخطاب والتفكير فيه كموضوع للمعرفة، ومن هنا يمكننا تتبع ظهوره في الفلسفة كما يلي: ما قبل أرسطو:

كان بارمنيدس من خلال قصائده الشعرية يميز بين "طريق يرعاه العقل الإلهي في الوصول إلى حقيقة مطلقة غير نافذة الصلاحية، وطريق يستند إلى الرأي العام ويفتقر بالضرورة لخاصية الثبات ولا يمنح ضمانا كافيا في معرفة الحقيقة المطلقة". وهكذا فالتمييز بين العلم والرأي يضرب بجذوره في تاريخ الفلسفة والفكر بشكل عام، وقد ترتب على هذه العلاقة مواقف متناقضة: حيث عمد السوفسطائيون إلى رفض وجود حقائق مطلقة، مادام كل حقيقة قابلة للنقاش والجدل وإبداء الرأي، و"أوضح غورغياس على أن كل موضوع يحتمل شكلين متناقضين من الخطاب، بمعنى أن مفهوم الصلاحية *validité* لأي كلمة وقابليتها لإنتاج معان جديدة تستند على معرفة المعنى المسبق المحدد لها، وما يتضمنه من قيمة أخلاقية واجتماعية في آن، وهذا ما يمنح أي إنسان - بمعزل عن المنطق التراتبي وتصنيفاته الشكلانية للجنس البشري - الحق في النقاش والحوار". إن هذا يدل على ارتباط الحقيقة عند السوفسطائيين بالإنسان الفرد ومصالحه ومواقفه في الحياة العملية، وبالتالي ازدهرت عندهم الخطابة والبلاغة والجدل، وأصبح الحجاج يستهدف إقناع الخصوم أو التأثير فيهم وتغيير مواقفهم، وهدف التعليم هو صنع الخطباء الأقوياء والمجادلين في السياسة والقضاء وأمام الجمهور العام. غير أن ربط الحقيقة بالمصالح الفردية عند السوفسطائيين جعل الحجاج يكتسي طابعا مغالطيا، مادام الانتصار

إلى الرأي الفردي يتم بكل الوسائل بما فيها القوة أو الحيلة أو الاستعطاف، أو كما يقول أرسطو: " إما تبكيك المخاطب، وإما أن يلزمه شنعة وأمر هو في المشهور كاذب، وإما أن يشككه، وإما أن يصيره بحيث يأتي بكلام مستحيل المفهوم، وإما أن يصيره إلى أن يأتي بهذر من القول يلزم عنه مستحيل في المفهوم بحسب الظن.

وهكذا ظهر مفهوم الحجاج المغالطي كمفهوم يدل على القصد إلى استخدام المغالطات التي " صارت مغالطات يهدف من ورائها إلى إقناع المتلقي برأي ما، أو دفعه إلى تغيير سلوك معين باحتجاج مغالط، أو بالعبارة الأرسطية بسفسطات، وحد السفسة أنها استدلال صحيح في الظاهر معتل في الحقيقة، إما لفساد في المضمون أو في الصورة." ومن مظاهر الحجاج المغالطي المصادرة على المطلوب، تجاهل المطلوب، حجة التعميم، حجة العاطفة، حجة السخرية، حجة الاسترحام، حجة الإغاطة، حجة التجريح، حجة الخبير، حجة التراثي، حجة الحدائي....

لم يقبل سقراط هذه الفلسفة المتكثرة للحقيقة المطلقة والمبادئ الثابتة، ورفض هذا الجدل القائم على الحجاج المغالطي. لقد سعى سقراط من خلال جداله مع السوفسطائيين إلى بيان الماهيات الثابتة لمفاهيم الحق والعدالة والحرية والقانون وغيرها في مقابل الدلالات المتغيرة التي يريد أن يعطيها لها السوفسطائيون، وكان عليه أن يبني خطابه الفلسفي على الجدل والمنطق التوليدي، ومن هنا اكتسى الحجاج عند سقراط طابعا عقلانيا منطقيا وجدليا، وقد اعتمد فيه على الاستدلالات العقلية مثل الاستنتاج والاستقراء والمقارنة والمقابلة والحوار، كما استخدم أساليب التهكم والسخرية والتكيت والإحراج، ففي محاوره هيبياس محاولة لتعريف ماهية الجميل، حيث يقدم هيبياس تعريفات متعددة " فالعذراء الجميلة هي الجمال، والذهب هو الجمال، والحياة الكريمة هي الجمال. يرفض سقراط هذه التعريفات ويقدم هو ذاته تعريفات أخرى منها على الخصوص، الانتظام والتناسق. ألا يعبر الجميل عن الانتظام والتناسق؟ يفضي هذا التعريف غير المرضي إلى معضلة شخصها سقراط بالقول ( يا لطيف. إذن فرصة اكتشاف ما هو الجميل في الحقيقة انسلت من بين أصابعنا وتلاشت... ) هيبياس: ما كان علي أن أتصوره أبدا يا سقراط بناء على كلمتي " ولم يهمل سقراط أهمية البلاغة ولكنه جعلها في صالح خدمة الحقيقة.

أما أفلاطون فقد اعتبر ماهية الأشياء الحقيقية في عالم المثل أما الحقائق في عالم الواقع فهي متغيرة، ولهذا تحتاج معرفة الحقيقة إلى استخدام التأمل الفكري وطلب الحكمة المتعالية عن طريق الجدل والحوار " الحوار الذي يلد العقول ويستدعي ذاكرتها لما هو

أساسي ، إما عن طريق ممارسة التعارض أو الانقسام أو التحليل الذي يصعد إلى المبادئ ، أو باستخدام تركيبات الأسطورة. أفلاطون في الجملة، أبدع التحليل والتركيب وطرح قبل ديكارت أنها لا تستطيع أن توجد دون الرجوع إلى الفكرة. " لكن استخدام الطرق الاستدلالية العقلية في الجدل والحوار وفن الأسطورة لتأكيد فكرة تعالي الحقيقة التي يجب أن ننشدها دائماً، جعلت أفلاطون يحط من قيمة الخطابة بسبب توليها عن الحقيقة، يقول محمد العمري: " لقد حمل أفلاطون في محاوراته على الخطابة لاهتمامها بالاقناع بدل البحث عن الحقيقة "

عند أرسطو: لقد وضع أرسطو الحجاج إلى جانب الخطابة والبلاغة، بينما أقام الخطاب الفلسفي علي البرهان والمنطق، هذا التمييز عند أرسطو يجعل الخطاب الفلسفي معنيا بالحقيقة بينما الخطابة معنية بإقناع الجمهور والتأثير فيه. وتنقسم الخطابة عنده باعتبار الزمن إلي ثلاثة أنواع:

ما يتعلق منها بالماضي مثل الخطابة القضائية التي يدور موضوعها حول حدث قد انقضى زمنه، ويطلب من المحكمين الحكم ببراءة المتهم أو عقوبته.  
ما يتعلق منها بالحاضر وهي الخطابة الاستدلالية أو الإثباتية، التي يثبت بموجبها الخطيب واقعة في الحاضر، كخطب التكريم أو الدعوة إلى مشروع معين.  
ما يتعلق منها بالمستقبل، كالخطب الاستشارية أو الاحتفالية، فهي " الخطب التي يطلب فيها تقرير قانون، أو إنشاء شيء جديد، فالخطيب حينئذ يحث الناس على عمل لم يحدث بعد"

كما ربط أرسطو الحجاج بالجدل، لأن أشكال الخطاب القضائي والتثبتي والاستشاري التي حصر فيها الحجاج مسائلها احتمالية خلافية، وبالتالي تتطلب الجدل والحوار والنقاش.

أما بالنسبة لشيثرون Cicéron فقد حاول التوفيق بين السوفسطائيين وسقراط وأفلاطون وأرسطو، وبالتالي التوفيق بين الخطابة والفلسفة. فهو " يحقق رابطاً بين الخطابة والفلسفة، تلك هي الفكرة الكبرى التي تهيمن على أعمال شيثرون والتي أعطته معناه وخصوبته معاً. " وهو يرى أننا " نستطيع تعريف الحجة كوسيلة عقلانية تجعلنا نعطي إيماناً بشيء مشكوك فيه. " وبالتالي، فالحجاج موجود في كل خطاب بما فيه الخطاب الفلسفي، وأن غرضه هو استبعاد الشك الذي ينشأ عن عدم فهمنا لقضية ما، فهو ينقلنا من الشك إلى اليقين.



وفي القرون الوسطى الأوروبية اتجهت الفلسفة إلى دراسة النصوص الدينية، وأصبح الحجاج منصبا على إثبات وجهة النظر في المسائل اللاهوتية، لا سيما المسائل الخلافية، مثل إثبات وجود الله وعلاقة العقل بالنقل، وبرزت المذاهب الدينية كتعبير عن ذلك الخلاف، فاشتد الصراع والجدل بين الكاثوليكية والبروتستانتية وغيرها من المذاهب المسيحية.

أما في عصر النهضة فقد اتجهت الفلسفة إلى نقد الفكر اللاهوتي وهيمنة الكنيسة على الحياة الفكرية والعلمية، وازدهرت العلوم المادية ونظرياتها، واتخذ الخطاب الفلسفي طابعا عقلانيا وعلميا، وبالتالي اكتسى الحجاج طابعا برهانيا منطقيا مع ديكارت وسبينوزا وليبننتز وطابعا واقعيًا تجريبيًا مع فرنسيس بيكون ودفيد هيوم وجون لوك، وقد أدى ذلك إلى إهمال الحجاج بوجه عام في الخطاب الفلسفي وفي غيره من أشكال الخطاب في الغرب، و" ذلك بتقديم البلاغة في نهاية القرن التاسع عشر كمجال غير علمي. وبالتالي فقد ألغي من المناهج التعليمية." ولكن ما هي النتائج المترتبة عن هذا الإهمال للبلاغة في علاقتها بالحجاج؟

يجيب ميشال ماير على هذا السؤال بالقول أن " الإيتوس والباتوس واللوغوس قد تفرقت، بنفس الكيفية البلاغة انفجرت. الإيتوس أعطى ولادة الأخلاق، الباتوس أعطى نظرية في التلقي والحساسية، واللوغوس أعطى منطقًا ونحوًا أين الإبداع اللاتيني قد وجد تحققه التام. لوغوس البلاغة قد افتقر كثيرا إلى حد أن البلاغة قد قلصت إلى نظرية في أشكال الأسلوب، والحجاج إلى " خطاب في المنهج" أثير الرياضيات." وهذا التشضي للمفاهيم المرتبطة بالحجاج مثل البلاغة والمنطق والجدل لم يدم طويلا، حيث أعيد الاعتبار لها جميعا في الخطاب من خلال اشتغال شاييم بيرلمان Ch. Perelman وزميلته أولبرشتز تتيكا Olbrechts Tyteca على البلاغة عند أرسطو، و كان عملهما في الحقيقة محاولة لإحياء أعمال أرسطو في البلاغة والخطابة بشكل خاص، ومن ثم إدراك أهمية الحجاج البلاغي في الخطاب، لكن ربطهما لهذا بالمستلزمات المعرفية والعلمية والثقافية المعاصرة جعلهما ينتهيان إلى نظرية في " البلاغة الجديدة " تستفيد من أرسطو وتضيف إليها أفكارا جديدة أيضا، وتتابع الاهتمام بعد ذلك بالحجاج الفلسفي وتشكلت في الفكر الغربي نظريات كثيرة حول طبيعته وأسسهِ ووظائفهِ.

في المقابل، فإن المجتمع العربي الإسلامي في العصر العباسي والأموي خلال القرون الوسطى قد ازدهرت فيه الترجمة لكتب اليونان خاصة في الفلسفة، فترجم ابن رشد كتاب

الخطابة لأرسطو، وظهرت أهمية الحجاج في مجالات كثيرة أهمها علم الكلام والبلاغة والجدل والمناظرة وغيرها، وبرز في الحجاج أسماء مفكرين وفلاسفة وعلماء كلام وأدباء أمثال ابن رشد والغزالي وابن خلدون والجاحظ والسكاكي وغيرهم، هذا الى جانب مفكرين عرب ومسلمين معاصرين أمثال طه عبد الرحمان ومحمد العمري ومحمد العزاوي .

### أنواع الحجاج الفلسفي:

يتكلم الباحثون عن أنواع متعددة منها:

**الحجاج التفسيري:** هو تبرير أطروحة عن طريق معلومات الهدف منها هو إفهام الغير وليس إقناعه ويتم بإجراءات متعددة منها: إيضاح المبهم أو الغامض، إدراج الخاص في العام أو الأعم، الانتقال من العام إلى الخاص، التكرار، الاحتراس وهو دفع اعتراض محتمل، الاعتراض بغرض التنبية .

**الحجاج الاستقرائي:** هو الحجاج الذي يقوم على الاستقراء وهو الانتقال من الخاص إلى العام أو من الحالات الجزئية إلى ما يترتب عنها من مبادئ وقواعد عامة ويتم وفق الشروط التالية: الانتقال من مقدمات عبارة عن أمثلة يجمعها الفيلسوف لها علاقة بالموضوع مثل وقائع اجتماعية طبيعية . تاريخية ... اختبار صلاحية كل مثال يعني التساؤل ما إذا كانت هذه الأمثلة واقعية أم لا واضحة أم لا ملائمة للموضوع أو لا، لها معنى أم لا ؟ ملائمة للمخاطب أم لا ؟ التأكد من عدم وجود أمثلة مضادة . الوصول إلى خلاصات و استنتاجات وموقف عام .

**الحجاج الاستنتاجي:** هو تعبير عن العلاقة بين المقدمات و النتائج الضرورية التي تلزم عنها، أو هو العملية الذهنية التي تجعلك تستخلص نتيجة أو قضية ضرورية من مجموعة قضايا آخرين نسميها مقدمات، فالاستنتاج يقوم على الضرورة المنطقية .

وقد يكون الاستنتاج تحليلي ينتقل من مقدمة مركبة إلى ما يلزم عنها من قضايا جزئية مثل تحليل مفهوم الثقافة ، و قد يكون الاستنتاج تركيبيا ينتقل من الأمثلة الخاصة إلى القوانين العامة فهو نوع من الاستقراء ، تعميم بول ريكور لجدلية الفهم و التفسير من حالات خاصة ( النص ، الفعل ، التاريخ ) إلى إن أصبح جدلية الفهم و التفسير نظرية في تأويل أي شيء .

**الحجاج البلاغي:** يقوم على استخدام الشروط اللغوية مثل البلاغة الفصاحة ، السرد، الاستعارة ، المقابلة، الهدف منه استمالة المخاطب و تغيير وجهة نظره إزاء موضوع معين .

## الطرق الاستدلالية والبلاغية في الحجاج:

1/ الطرق الاستدلالية في الحجاج : يستخدم الخطاب الفلسفي أنواعا من الأساليب الاستدلالية منها: القياس الحملي مثلما هو الحال عند أرسطو ، أو الشرطي أو الاقتراضي أو قياس الاحراج.

والبرهان بالخلف أي البرهنة على القضية من خلال افتراض نقيضها فإذا ثبت أن نقيضها كاذب تصبح القضية الأولى صادقة، كذلك المفارقة و الاحراج : حيث يعمد الفيلسوف إلى إثبات أطروحة للمخاطب و إظهارها كحل واحد للمفارقة و التدليل على ان الاطروحة المضادة تحمل مفارقة مثل "مفارقة مانهايم " التي تكلم عنها بول ريكور: يقول مانهايم كل شيء إيديولوجي لكن يمكن تجاوز الأيديولوجيا. بول ريكور يقول الحل أن الأيديولوجيا ظاهرة عامة، وبالتالي لا يمكن تجاوزها نهائيا.

لكن يجب الاعتراف مع مشال ماير أن الطرق الاستدلالية في الخطاب الفلسفي تبقى حججا متكيفة مع ذلك الخطاب، فهي لازالت تستخدم اللغة العادية بدل الرمزية في العلوم الرياضية أو التجريبية، وهي لازالت مرتبطة بطبيعة المتلقي في الواقع وثقافته ووضعها الاجتماعي، ولهذا تسمى عادة بالحجج " شبه المنطقية "، ذلك أن " الحجج شبه المنطقية هي تلك التي نفهمها بتقريبها بالفكر الصوري، في طبيعته المنطقية أو الرياضية، لكن حجة شبه منطقية تختلف عن استنتاج صوري بفعل افتراضها دائما التحاما بأطروحات من طبيعة صورية، والتي تسمح وحدها بتطبيق الحجة "

2/ الطرق البلاغية في الحجاج: من بين أنواع الأساليب البلاغية المستخدمة في الخطاب الفلسفي: ضرب الأمثلة حيث تحول الأفكار المجردة من خلال الأمثلة إلى وقائع تقنع الغير ومنها أيضا المماثلة ( التمثيل ) و هو الحكم على قضية من خلال الحكم على قضية أخرى تماثلها او تشترك معها في صفات معينة . أما الاستعارة هي شكل من أشكال التشبيه حذف فيه أداة التشبيه و تحقيق التطابق بين المشبه والمشبه به ، تكتسب الاستعارة في الخطاب الفلسفي أهمية كبرى لأنها تنقلنا من مجال دلالي معين إلى مجال آخر. وكذلك يمكن الحجاج بالاستناد إلى السلطة وهو إقناع الغير بالاستناد إلى حكم سلطة عليا تفرض على المخاطب.

استنتاج : نستنتج مما سبق ان الحجاج الفلسفي يقوم على طرق استدلالية عقلية برهانية مثل الحجاج التفسيري، الاستقراء، الاستنتاج، و طرق أخرى بلاغية هدفها كسب المخاطب مثل الفصاحة، البلاغة، السرد، الاستعارة، ضرب الأمثلة، الاحتكام إلى سلطة عليا.

### المحاضرة 3 : موقع الحجاج في الخطاب الفلسفي.

**تمهيد:** هل يمكن تصور خطاب فلسفي دون حجاج ؟

الإجابة على هذا السؤال تتطلب الوقوف أولاً على مفهوم الخطاب الفلسفي، الذي يبدو خطاباً متميزاً بطابعه الشمولي أو الكوني والعقلاني، وهذا يربطه بالبرهان الذي يستهدف الحقيقة، ويجعل علاقته بالحجاج على الرأي محل شك. الأمر الذي يدعونا إلى تحليل علاقة الخطاب الفلسفي بالبرهان والحجاج، وبالتالي توضيح أهمية الحجاج الفلسفي ضمن الخطاب الفلسفي :

#### مفهوم الخطاب الفلسفي:

الخطاب الفلسفي هو الكلام المكتوب و النص الموجه لجمهور عالمي، من حيث أنه يطرح قضايا كلية، وبالتالي فهو يقوم على العقل الكوني، ويستخدم طرق استدلالية أكثر عقلانية. لكن هذا الطابع العام للخطاب الفلسفي لا ينفي تأثره بالسياق الثقافي للفيلسوف وما يحكمه من معتقدات وإيديولوجيات وأفكار، وبطرحه لمسائل خلافية لا يفصل عن الجدل والحوار والحجاج عن الآراء.

ولذلك يمكن القول مع جابر عصفور أن " الخطاب هو العملية الاجتماعية لصنع المعنى وإعادة إنتاجه، وهو أقرب إلى الكلام بالمعنى الموجود عند دو سوسير، أي اللغة من حيث هي مستخدمة فعلياً بواسطة متحدثين، بعيداً عن دلالة اللغة من حيث هي نسق جامد من العلامات " وهذا ينطبق على الخطاب الفلسفي الذي لم يعد خطاباً مجرداً ومنغلقاً على ذاته، بل خطاب منفتح على كل جوانب الحياة العملية.

#### الخطاب الفلسفي بين الحجاج و البرهان:

##### الموقف الأول:

هناك من يقول أن الخطاب الفلسفي يقوم على الحجاج، لأن الحجاج الفلسفي يختلف عن أي خطاب آخر فهده هو البحث عن المعنى و ليس البحث عن الصدق، ويذهب العزوي إلى أنه لأخذ فكرة واضحة عن مفهوم الحجاج ينبغي مقارنته بمفهوم البرهنة أو الاستدلال، وأن " الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنتاج تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب" و هذا يعني أنه يقوم على استراتيجية في الحجاج تختلف عن الأنواع الأخرى :

فهو خطاب شخصي مرتبط بوجهة نظر الفيلسوف في المقابل الخطاب القائم على البرهان موضوعي أي لا يختلف عليه اثنان، وإذا كان الحجاج يقوم على اللغة الطبيعية

لأنه يستخدم حججا لغوية مختلفة ومتغيرة في دلالتها، فإن الخطاب القائم على البرهان أو على الاستدلال عادة ما يستخدم لغة رمزية مجردة ويطبق على موضوعات ثابتة. والخطاب الحجاجي يقوم على الإقناع والتأثير في الخصم و توجيهه تقول جاكلين روس " التفلسف في الواقع هو الحجاج ، وكل حجاج ينخرط في عمل البلاغة ، فن التعبير يركز على استراتيجيات الإقناع و صور البلاغة والاستعارة الفنية في حقل الفلسفة التي ينبغي للمتكلم عدم تجاهلها إذا أراد إنشاء موضوع أو شرح درس " بينما يركز الخطاب البرهاني على معيار الصدق والكذب، أي على الحقيقة. و اذا كان الحجاج الفلسفي ليس آليا حيث يمكن أن تكون مقدماته مضمرة و كذلك نتائجه، فإن البرهان هو إجراء آلي ينتقل من مقدمات إلى نتائج بشكل واضح، ولذلك نجد بعض الفلاسفة مثل الفيلسوف الألماني "دلثاي" يدعونا إلى عدم الخلط بين الفهم الإنساني والفلسفي من جهة، والبرهان العلمي من جهة أخرى، خلال تمييزه بين العلوم الطبيعية التي تتطلب التفسير والعلوم الإنسانية التي تتطلب التأويل و الفهم و التفاهم. نقد : الحجاج الفلسفي لا يمكن أن يقوم على مجرد الإقناع و ما يتبعه من بلاغة و فصاحة من اجل استمالة الآخرين فهذا يحوله إلى خطاب عاطفي إيديولوجي أكثر. إن الأخذ بهذا الموقف يجعلنا نهمل دور البرهان في الخطاب الفلسفي.

### الموقف الثاني:

هناك من يذهب إلى أن الحجاج الفلسفي يقوم على الاستدلال الفلسفي والعقلي، لان الخطاب الفلسفي هدفه توضيح الحقائق وليس خطابا ذاتيا، ومن بين المدارس التي تأخذ بهذه الفكرة المدرسة الوضعية المنطقية تدعو إلى استخدام المنطق الوضعي والتحليلي من اجل أن تكون الأحكام مطابقة للواقع والمنطق التحليلي (تحليل منطقي ) من اجل البحث عن صدق الأفكار المجردة. ومن أنواع البرهان التي يستخدمها الفيلسوف الاستقراء، الاستنتاج، المقارنة، المماثلة ، النقد. ويرينا المنهج الديكارتي مثلا على هذا الحجاج الاستنتاجي المطبق على الخطاب الفلسفي

نقد: الخطاب الفلسفي عندما يقوم فيه الحجاج على البرهان والاستدلال فقط فانه يصبح خطابا مجردا وجافا لا يصلح إلا للفلسفات العقلانية والمثالية، وهذا يعني أن هذا الموقف يتجاهل دور الإقناع في الحجاج الفلسفي الذي يتطلب مخاطبة عواطف الغير واستمالتهم إلى وجهة نظر خاصة، حيث تشهد الفلسفات البراغماتية والتأويلية وحتى النقدية المعاصرة على ارتباط الخطاب الفلسفي بسياقه، وبأفعال الناس العملية.

كما أن مفهوم المتلقي العالمي لا يفرض اللجوء إلى البرهان، وبالتالي لا يلغي بالضرورة مفهوم الحجاج، وعلى حد تعبير بيرلمان: " يتشكل مفهوم المتلقي العالمي من قبل كل فرد مما يعرفه عن أقرانه، وذلك بطريقة تتجاوز الاعتراضات القليلة التي يدركها، كذلك كل ثقافة، كل فرد له تصوره الخاص للمتلقي العالمي، ودراسة هذه المتغيرات ستكون مفيدة للغاية، لأنها تجعلنا نعرف ما اعتبره الناس في مجرى التاريخ، كشيء واقعي وحقيقي وموضوعيا صالح."

خلاصة: إذا كان فهم الحجاج يتطلب تمييزه عن البرهان في العلوم الرياضية، فإن طبيعة الخطاب الفلسفي الكلية الشاملة لا يمكنها إهمال لا الحجاج ولا البرهان، حيث يصطبغان بالطرح الفلسفي، ومما سبق يمكن القول إن الحجاج الفلسفي مفهوم معقد يقوم على الإقناع والفصاحة والبلاغة كما يقوم على البرهان وما يتطلبه من صرامة منطقية واستدلالات عقلية واضحة.

#### أهمية الحجاج في الخطاب الفلسفي:

يمكن تناول موقع الحجاج في الخطاب الفلسفي أيضا من خلال تحليل أهمية الحجاج في ذلك الخطاب، ويمكن تحليل هذه الأهمية في العناصر التالية:

1/ الأهمية الـديداكتيكية (التعليمية): في " قاموس النحو النقدي وفلسفة اللغة الفرنسية " نجد انفصالا بين مصطلحي الـديداكتيك والحجاج، حيث يشرح كلمة ديداكتيك بأنها " فن التدريس " ويجعل الـديداكتيك ينطبق فقط على التدريس، ويعترض على رأي كوندياك Condillac الذي يرى أنه " داخل الـديداكتيك نطرح الأسئلة وناقشها " ففي نظر صاحب القاموس أن كوندياك يخلط بين الـديداكتيك ومفهوم الحجاج، لأن " مناقشة الأسئلة هو إخضاعها للامتحان، إنها قبول الآراء المتعارضة، الحجج مع أو ضد، وهذا ما يدعى حجاجا. " غير أن هذا الاعتراض على كوندياك لا يصح، باعتبار كوندياك كان يفكر في الخطاب الفلسفي الذي يتطلب الحجاج حتى في تدريسه، وبالتالي فإن ارتباط الحجاج بالتدريس أو الـديداكتيك هو ارتباط ضروري، فالدرس الفلسفي ليس معطى جاهزا بل يبني من خلال الجدل والحوار والمناقشة بين الأستاذ وطلوبته.

إن كل خطاب فلسفي ينطوي على ثلاث عناصر أساسية متداخلة هي (الصورنة conceptualisation، الأشكلة problématisation المحاجة argumentation)

تكمن أهمية الحجاج الفلسفي الـديداكتيكية في أنه يعلم الطلبة كل أنواع وأنماط الحجاج الفلسفي و كيفية استخدامها في موقف معين أو دحضه ، أن يراعي الطالب في الحجج

عدم التناقض فيما بينها ، كما يجيب أن لا تكون متناقضة مع الموقف الذي تسنده أو تدحضه . أن تكون الحجة عقلية كونية أي مقبولة لدى كل عقل . أن تكون الحجج ضمن استراتيجية عامة . أن تكون مقنعة للمتلقي ضمن ثقافته أو سياقه الثقافي و الاجتماعي .

**2/الأهمية الفلسفية:** نجدها عند الباحث غرونجيه Gronger الذي درس إشكالية البرهنة في الخطاب الفلسفي انطلاقاً من مفهومين أساسيين هما :

**الخطابة الفلسفية:** La rhétorique philosophique عند غرونجيه تؤثر على المتلقي بطريقة غير مباشرة، و ليس التأثير المباشر الانفعالي مثلما هو الحال في الخطاب الأدبي العام، فالخطابة الفلسفية تتجه نحو العقل وتحمل المتلقي على الإقناع بأفكارنا وتصوراتنا باستخدام الحجج و تظهر الخطابة الفلسفية عند غرونجيه في حالات ثلاث: إثارة التساؤلات واستعمال الحوار و توجيه المتلقي في موقف معين.

استخدام الفيلسوف للغة العادية مثلاً أفلاطون استخدام الأسطورة لإثبات موقفه و ابن طفيل الذي استخدم القصة في الدفاع عن مواقف فلسفية .

الاعتماد على التراث المشترك واللغة المشتركة في إقناع المتلقي .

**التحليلية:** L'analytique هذا يعني أن الخطاب الفلسفي يقوم على التحليل و البرهان و يفهم غرونجيه التحليل بالمعنى الأرسطي الذي يعني تسلسل القضايا من أجل الوصول إلى معرفة برهانية تتلازم فيها المقدمات مع النتائج، و ميزة هذا التحليل ليست فقط إظهار المواقف و الأفكار بل تنويع الحجج و الأدلة بحيث لا تكون صورية فقط بل واقعية أيضاً.

**3-الأهمية اللسانية أو اللغوية:** بحث أديكروا O.Ducrot الأهمية اللغوية في الحجاج الفلسفي و يحصرها في ثلاث مبادئ :

الوظيفة الأساسية للغة الحجاج .

المكون الحجاجي أساسي و المكون الإخباري ثانوي أي الذي يهتم في الخطاب الفلسفي الحجاج و كسب المواقف و الأفكار .

عدم الفصل بين الدلالات و التداوليات في التعبير عن الأفكار، فعلم الدلالة يهتم بدراسة معنى العلامات و الألفاظ الموضوعية أما التداوليات فهي اتجاه في فلسفة اللغة يربط اللغة بالسياق اللغوي و الثقافي، وهذا يعني أن الحجاج الفلسفي عند ديكرورا يهتم بالدلالات الموضوعية للغة و باستعمالها في سياقات معينة، لذلك أكد أهمية الروابط اللغوية في الخطاب كالواو ، الفاء ، أدوات الشرط : إذا ، فان ، إما. الروابط التداولية مثل : بل ،

لكن لاسيما . و تسمح هذه الروابط التداولية بإنشاء روابط جديدة حجاجية هو الربط بين الحجة و النتيجة و الحجة و النقد .

**الأهمية التواصلية والتداولية:** وفي هذا الصدد أكدت روت أموسي Ruth Amossy أن تلك الأهمية كانت واضحة في أنماط الخطاب منذ القدم، لاسيما عند أرسطو في أنواع الخطاب القضائي والاستشاري والاحتفالي، بل تذهب أموسي إلى القول بأنها تريد أن " تحتاج هنا على أن مفهوم نوع الخطاب المحدد عن طريق تحليل الخطاب ( A.D ) في حركة بختين Bakhtine لا يسمح فقط بتوسيع حقل الخطابة الكلاسيكية: إنه يؤدي إلى إعادة التفكير في مفهوم الحجاج" وهذا من شأنه أن يعزز مكانة الحجاج في مختلف أشكال الخطاب التي تعرف في العصر الحديث تنوعا غير محدود واختلاف متميز في ما بينها، الأمر الذي يطرح اختلاف حجاجها باختلاف أنماطها ووضعيتها، فليس الخطاب الفلسفي مثل الخطاب الإشهاري أو الخطاب السياسي.

لقد عرف الخطاب الفلسفي في عصرنا ارتباطا واسعا باللسانيات والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وتكشف الطرق الجديدة في التفلسف عن أشكال جديدة في الخطاب الفلسفي تعبر عن فروع عملية جديدة في التفلسف مثل فلسفة الفعل، والفلسفة واليومي، والأخلاقيات التطبيقية... الأمر الذي يفرض على الخطاب الفلسفي أكثر من غيره استخدام أساليب الحجاج الملائمة لطبيعته.

نستنتج مما سبق أن أهمية الحجاج ديداكتيكية و فلسفية و لغوية وتواصلية تداولية في الخطاب الفلسفي لاسيما في العصر الحديث، حيث ترتبط الفلسفة أكثر بالحياة العملية للناس، وتعبر عن مواقفهم المختلفة إزاء مشكلات الحياة، وبالتالي، لا يمكن الاستغناء عن الحجاج في الخطاب الفلسفي.